سِلْسِلَةُ: إِتْحَافِ الحَاضِرِ والبَادِي بِتَفْرِيغِ أَشْرِطَةِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (٦٣/ ٣)

دروس رمضانية (٣)

تتمة: من فضائل شهر رمضان

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ العَلَّامَةِ

د. مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي المَدْخَلِي -حَفِظَهُ اللهُ-

المُدرِّس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

ألقاه فضيلته بعد عصر الأربعاء، الثالث من رمضان ١٤٤٥هـ

في مسجد بدري العتيبي بالمدينة النبوية

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس رمضانية (٣): تتمة: من فضائل شهر رمضان[١]

قال الشيخ محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-:

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فهذا هو المجلس الثالث في هذا الشهر الكريم -شهر رمضان-، عام خمسة وأربعين وأربع مئة وألف من هجرته ﷺ، وهو في الحقيقة استكمالٌ لما سبق معنا بالأمس، فقد وقفت على بعض الأحاديث، وما أحببت أن أدعها في فضائل شهر رمضان خاصة، وفي الصيام عامة، ولكن قبل ذلك وقفت على بعض الأحاديث أيضًا فيما يتعلق بكون شهر رمضان صومه عتق من النار، وكان قد تقدَّم معنى ذلك في لقائنا بالأمس في حديث أبي أمامة، وحديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنهم جميعًا-، فأحببت أن أضيفها:

* فمن هذه الأحاديث التي جاءت في هذا الباب: أنَّ لله عتقاء في شهر رمضان في كل ليلة، ولا يعلم عددهم إلا الله -تبارك وتعالى-؛ ما جاء من حديث أبي هريرة ﷺ عند الترمذي، وابن ماجه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**وَلِلهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**»[٢] في رمضان، وصحَّحه الشيخ ناصر رحمه الله تعالى.

---

(١) ألقاه فضيلته بعد عصر الأربعاء، ٣ رمضان ١٤٤٥هـ في مسجد بدري العتيبي بالمدينة النبوية.

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم (١٦٤٢)، والترمذي في «جامعه» برقم (٦٨٢)، وينظر: «المشكاة» للشيخ الألباني برقم (١٩٦٠).

* كما جاء أيضًا في حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لله عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءَ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ**»(١).

* وجاء أيضًا عنه ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**إِنَّ لله عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَلِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ**»، «**إِنَّ لله عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَلِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ**» أي من هؤلاء العتقاء «**دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ**»، خرَّجه الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-، وصحَّحه الشيخ ناصر رحمه الله (٢).

والحديث السابق مثل حديث أبي أمامة الذي تقدم معنا بالأمس تمامًا، وحديثنا هذا الثاني مثل حديث أبي أمامة، وحديث أبي سعيد، جمعهما جميعًا، فهذان الحديثان يضافان إلى ما تقدَّم، والفرح بهما أعظم وأعظم لما فيهما من عظيم الثواب، وكلما تكاثرت الأحاديث في الشيء ازداد قوةً وثبوتًا، وازداد العبد به يقينًا وفرحًا، فإنَّ هذا مما يُفرح به، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم ممن يفرح بذلك.

وأما ما يتعلق بالجديد في هذه الليلة في فضائل شهر رمضان فهو: أنَّ خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، كما جاء ذلك في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**أُعْطِيَتْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ، لَمْ تُعْطَهُنَّ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ قَبْلَهَا**» ما أول هذه الخصال؟ أول هذه الخصال، قال: «**خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»(٣)، وهذا الحديث الذي ذكرناه هو جزء من حديث أبي هريرة الطويل أطول من هذا، ذكر فيه خمس خصال، والخمس هذه تصح منها ثلاث، واثنتان تبقى ضعيفة، فأولى هذه الثلاث: «**خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**».

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم (١٦٤٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» برقم (٢١٧٠).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٧٤٥٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» برقم (٢١٦٩).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٧٩١٧).

فهذه الفضيلة ثابتة للصائمين في أحاديث أُخَر في «الصحيحين».

فمن ذلك: قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**» متفق عليه(١).

فالحديث الأول -حديث أبي هريرة- بيان أنَّ هذا في رمضان، وهو عام في كل صائم، لكن في رمضان أولى، وأحرى، وأظهر، قال: «**أُعْطِيَتْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ**»، فنصَّ على الصيام -صيام رمضان-، وهو عام في كل صوم، لكن رمضان في المقدمة، وقد دلَّ عليه كما قلنا الأحاديث هذه، منها: قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»، متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في «اللطائف»(٢): («خلوف الفم»: رائحة الفم وهو ما يتصاعد منه من الأبخرة؛ لخلو المعدة من الطعام، وهذه الرائحة مستكرهة في مشام الناس) إذا شمَّها منك يبغضها، لكنها وإن كانت مستكرهة في شم الناس إلا أنها (عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طيبة؛ حيث كانت ناشئة عن طاعته، وابتغاء مرضاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) فكانت محبوبة له أطيب عند الله أفضل عند الله من رائحة المسك، والناس يفرون منها، فإذا شمَّها الإنسان من أخيه، وكذلك أخوه إذا شمَّها منه، فإنَّ كل واحد يكره مثل هذه الريحة، لكنها عند الله محبوبة، (وهذا شبيه بدم الشهيد يوم القيامة؛ فإنه يأتي يوم القيامة وجرحه يثغب دمًا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك)، فهذه الرائحة محبوبة؛ لأنها ناشئة عن طاعة الله -تبارك وتعالى-.

وهذا الحديث فيه قَسَمٌ منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تأكيد الأمر؛ يعني تأكيد محبة الله لها، حيث قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»، يعني أفضل عند الله من

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (١٨٩٤)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١١٥١).

(٢) «لطائف المعارف - ت السواس» (ص ٣٠٠).

رائحة المسك الذي هو أطيب الطيب كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «**أَطْيَبُ الطِّيبِ: المِسْك**»[(١)]؛ وذلك كما ذكرنا لأنها ناشئة عن طاعة الله وهي الصوم، فلهذا أقسم النبي -عليه الصلاة والسلام- على ذلك.

وجاء عند مسلم[(٢)] بلفظ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**».

وجاء عند أحمد[(٣)]: «**لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**» بدون قسم كما تقدم معنا، وجاء أيضًا عند أحمد[(٤)] بلفظ: «**خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ - أَوْ قَالَ: أَحَبُّ - إِلَى اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»، وهذا فيه بيان معنى الطيب ما المراد به؛ المحبة، فهو عند الله أحب من ريح المسك عندكم، وإن كنتم أنتم في الدنيا تكرهون شمَّها من بعضكم البعض، فهذا فيه بيان فضيلة هذه الخصلة للصائمين، فهنيئًا للصائمين بهم، وبها يثبت قوله -عليه الصلاة والسلام- في حديث أبي هريرة: «**أُعْطِيَتْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ، لَمْ تُعْطَهُنَّ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ قَبْلَهَا**»، وذكر فيها هذه الخصلة، فالحديث وإن كان ضعيف بذكر الخصال كلها؛ إلا أنَّ هذه الخصلة وهي طيب ريح فم الصائم خلوفه، فالخلوف كما قلنا الرائحة المستكرهة، يقال فيها خَلوف بالفتح، ويقال فيها خُلوف، بالضم، كله جائز.

ومن فضائل شهر رمضان أيضًا: أنه سبب عظيم من أسباب حبس الناس عن الخصومات، والشِّجَار، والسِّبَاب، والشِّتام، والقتال، يعني التحارب، فقد جاء ذلك عن رسول الله ﷺ مبينًا.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٥٢٢).

(٢) في «صحيحه» برقم (١١٥١).

(٣) في «مسنده» برقم (٩١٣٨).

(٤) في «مسنده» برقم (٨٥٧١).

وقد جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال في أثناء حديث: «**وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**» خرَّجه البخاري(١) بهذا اللفظ، وخرَّجه مسلم(٢)، وأحمد(٣)، وفي رواية للبخاري(٤): «**فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، مَرَّتَيْنِ**» إني صائم، إني صائم، وجاء عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ أَوْ جَهِلَ عَلَيْكَ، فَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ**» خرَّجه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم(٥).

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لم يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعملَ بِهِ؛ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ في أَن يَدَعَ طَعامَهُ وشرابَهُ**» خرَّجه البخاري(٦)، وفي رواية أخرى عنده: «**مَنْ لم يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعملَ بِه**» وزيادة عليها: «**والجهلَ**»(٧)، فأضاف: «**والجهلَ**».

إذًا: فيصبح: «**مَنْ لم يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعملَ بِهِ والجهلَ؛ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ في أَن يَدَعَ طَعامَهُ وشرابَهُ**»، فهكذا جاءت الأحاديث عن الله ﷺ، وهذه الزيادة أيضًا عند الإمام أحمد رحمه الله تعالى في «مسنده»(٨).

ولذلك جاء ما يدل على أنَّ الصيام الحقيقي إنما هو مع صومك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات؛ أن تصوم عن اللغو، وعن الرفث، وعن الجهل، وعن السِّباب، وعن

---

(١) في «صحيحه» برقم (١٩٠٤).

(٢) في «صحيحه» برقم (١١٥١).

(٣) في «مسنده» برقم (٧٦٩٣).

(٤) في «صحيحه» برقم (١٨٩٤).

(٥) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» برقم (١٩٩٦)، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٣٤١٦)، والحاكم في «مستدركه» برقم (١٥٧٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» برقم (٥٣٧٦).

(٦) في «صحيحه» برقم (١٩٠٣).

(٧) في «صحيحه» برقم (٦٠٥٧).

(٨) برقم (٩٨٣٩).

الشِّتام، هذا هو الصحيح الكامل، وإذا سَبَّ أو شاتم أو نحو ذلك؛ فإنه ينقص أجر صومه، حتى يضعف جدًا، لكن ما يبطل، وإنما يضعف أجر الصوم، لِمَ؟ لأنه لم يصم الصيام الكامل المطلوب كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «**مَنْ لم يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعملَ بِهِ والجهلَ**» والسِّباب، والشِّتام، والرفث؛ فهذا: «**لَيْسَ لله حَاجَةٌ في أَن يَدَعَ طَعامَهُ وشرابَهُ**»، فتبيَّن أنَّ الصيام الحقيقي الكامل ليس هو الصيام عن الطعام والشراب، عن الأكل والشرب، وإنما ما كان على هذا النحو؛ فإنَّ هذه الأمور تضعف أجر الصوم وتنقصه، لماذا؛ لأنَّ الصيام جُنَّة، الصيام جُنَّة يُتَّقَى بها كما يَتَّقي المقاتل ضرب عدوه، يأخذ باليسار الجُنَّة التُّرس، ويضرب باليمين بسيفه، فإذا جاء عدوه أو خصمه الذي يبارزه ويقاتله، يريد ضربه، اتَّقاه بهذه الجُنَّة، فإذا كانت الجُنَّة قوية متينة جيدة؛ فإنها تدفع عنه الهلاك، وإن كانت ضعيفة نفذ إليه ضرب وخصمه، فربما قتله، فهكذا الصيام هو كالجُنَّة بيد المقاتل، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ أَحَدِكُم مِنَ النَّارِ، كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ**»[1]، كما أن بين يديك جُنَّة من القتال -كما قلنا لكم التُّرس تتقي به ضرب العدو فلا يقتلك يهلكك-؛ فهكذا الصيام على هذا النحو الذي تقدَّم هو جُنَّة لك أيها المسلم من النار، كالجُنَّة المتينة القوية للمقاتل من الهلاك في حال القتال.

وجاء أيضًا عند الإمام أحمد[2] رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ**»، وإذا كانت جُنَّةً وحِصنًا؛ فإنك لا تخرق هذه الجُنَّة، ولا تخرق جدر أو جدار هذا الحصن، فيدخل عليك منه عدوك، فإنَّ الحصن الحصين كما قال النبي ﷺ لا يدخل عليك منه

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٢٢٣٠)، وابن ماجه في «سننه» برقم (١٦٣٩)، والنسائي في «سننه» برقم (٢٢٣١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» برقم (٣٨٧٩).

(٢) في «مسنده» برقم (٩٢٢٥).

العدو، ولا يدخل عليك من يريد قتلك وإهلاكك، فهكذا: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ**»

وهذا الصيام على هذا النحو ما لم تخرقه، فإنه قد جاء أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرِقْهَا**»(١)، وجاء عند الدارمي(٢) زيادة: «**مَا لَمْ يَخْرِقْهَا بِالْغِيبَةِ**».

ولهذا قال الصحابي الجليل الفقيه جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما: «**إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ، وَبَصَرُكَ، وَلِسَانُكَ، وَلَا يَكُنْ يَوْمَ صَوْمِكَ وَيَوْمَ فِطْرِكَ سَوَاءً**»(٣)، يعني لا تطلق لسانك، ولا تطلق سمعك، ولا تطلق بصرك، فلا تطلق البصر في النظر المحرم، ولا تطلق اللسان في الكلام المُحَرَّم من كذب، وزور، وبهتان، وغيبة، ونميمة، وسب، وشتام، ورفث، فإنَّ الرفث هنا في هذا الحديث المراد به قبيح الكلام مطلقًا، فلا تطلق لسانك في قبيح الكلام، وليصم لسانك، وهكذا ليصم سمعك أيضًا عن سماع المحرمات؛ فلا تسمع الأغاني، ولا تسمع الموسيقى، ولا تسمع ما يتعلق بأنواع الملاهي من سائر المعازف، وهكذا لا تستمع إلى قول الزور، ولا تستمع إلى شهادة الزور، ولا تجلس مجالس الزور، ولا تقترب من أصحاب اللغو والرفث، ولا أصحاب الخصام والشِّتام، فتصون سمعك عن كل ما يجرح صومك، ويخرق جُنَّتك، فالصوم جُنَّةٌ من النار، وحصن حصين من النار، فلا تخرقه بمثل هذه الأمور، وحينئذٍ فيكون لك الأجر الذي جاء النص عليه في هذه الأحاديث عن رسول الله ﷺ.

وهذا والله لو لم يكن إلا هذا في فضائل صيام شهر رمضان لكفى أجرًا، ولكفى سببًا في أن يرتدع الناس عن الوقوع في مثل هذه المحرمات، وهذا واضح في عموم

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (١٦٩٠)، والنسائي في «سننه» برقم (٢٢٣٥)،

(٢) في «مسنده» برقم (١٧٧٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه -دار التاج» (٢/ ٢٧١) برقم (٨٨٨٠).

بلدان المسلمين في شهر رمضان؛ فإنَّ الخصومات بين الناس في الشوارع تقل، وفي الأسواق تقل، وفي المنازل تقل، وفي كل مكان تقل، وما ذلك منهم إلا مراعاة لصومهم، ومحافظة عليه، وحرصًا على حصول الأجر التام الذي وعد به نبينا ﷺ.

هذا وأسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم من الحافظين لصيامهم، ومن الواقفين عند حدود الله -تبارك وتعالى-، والواقفين عند ما أمرنا الله به، وأمرنا به رسوله ﷺ، ونهانا عنه، ونهانا عنه رسوله ﷺ، كما أسأله ﷻ أن يرزقنا الفقه في الدين والبصيرة فيه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ونسأله ﷻ أن يغفر لنا ولكم ولعموم المسلمين الأحياء منهم والميتين.

اللهم اغفر لنا ولإخواننا المسلمين الأحياء منهم والميتين، اللهم اغفر لوالدينا ومن أحبنا فيك وأحببناه فيك، اللهم آمن روعاتنا، واستر عوراتنا، اللهم آمن روعاتنا، واستر عورتنا.

اللهم إنا نسألك الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى، اللهم عافنا في أجسامنا، اللهم عافنا في أبصارنا، اللهم عافنا في أسماعنا، لا إله إلا أنت، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر، لا إله إلا أنت، اللهم عافنا في أجسادنا، اللهم عافنا في أسماعنا، اللهم عافنا في أبصارنا، لا إله إلا أنت، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر، لا إله إلا أنت، اللهم عافنا في أجسادنا، اللهم عافنا في أسماعنا، اللهم عافنا في أبصارنا، لا إله إلا أنت، اللهم إنا نعوذ بك من الكفر، ونعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر، لا إله إلا أنت، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ونُذَكِّر أنَّ غدًا وبعد غد وبعده ليس هناك لقاء درس؛ يعني الخميس والجمعة والسبت، وذلك لوجود بعض من سأل لأنه سيذهب بأنه سيذهب للعمرة، ولا يريد أن يفوته اللقاء، ونحن كذلك أيضًا لدينا ما يربطنا، فلعلنا نلتقي يوم الأحد القادم إلى الأربعاء إن متعنا الله وإياكم في الحياة، فأربعة أيام لكم، وثلاثة لكم ولنا».

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

فِي السَّابِعِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عَامَ خَمْسَةٍ وأَرْبَعِينَ وأَرْبَعِمِئةٍ وأَلْفٍ مِنَ الهِجْرَةِ